كَسْرُ البِنْيَةِ الثَّقَافِيَّةِ لِنَسَقِ الأُلْفَةِ الأَبَوِيَّةِ فِي القُرآنِ الكريمِ
كسر – نسق – الأبوية

أ.م.د. فراس صلاح عبد الله العتَّابي
الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية

الملخص

يدور البحث حول التديُّن بوصفه شكلا متطورا من أشكال التحضر البشري ، فوجوده في أيِّ جماعة انسانية يؤشر ابتعادها عن مرحلة التوحش والهمجية وانتقالها إلى سبل تنظيمية متطورة، كما يبيَّن أن المقدَّس من وجهة النظر الاجتماعية يكتسب قدسيته من المقدِّس، لذلك نجد تعدد المقدَّسات بتعدد الجماعات البشرية، ومن هنا اكتسب الآباء الاوائل قدسيتهم، فكان لمعظم الجماعات البشرية أبا مقدَّسا ينحلونه صفات المجد، ويمنعونه المساءلة والنقد، ويحاربون الرسالات السماوية من أجله، ومن هنا شخَّصَ البحثُ نقطتين: النقطة العُليا: وهي نقطة القيم المؤسسة على المعرفة والمنهج العلمي، والنقطة الدُّنيا: وهي اشتغالات النسق وتمظهراته التي أساسها الرغبة وعدم الموضوعية، ففي البحث نوقشت انساق العري وربطها بالسرديات الأولى، كما نوقشت الأنساق الغذائية في المأكل والمشرب، ووجهتا النظر، الرسالية، والنسقية، في هذا الشأن، كما ناقش البحث القيمة الاقتصادية ودورها في تثبيت المجتمع الانساني أو تمزقه، وكانت منهجية هذه القراءة من خلال إظهار التعالق بين البنيتين الثقافية والنصية في الذهنية البشرية بوصفها بنية ثقافية تكشف الخبيء من الأنساق البشرية.

Summary

The study of religiosity as an advanced form of human civilization, its presence in any human group indicates the departure from the stage of brutality and barbarism and its transition to advanced organizational means, and shows that the holy from the social point of view acquired sanctity through the sacred, , And hence the early fathers acquired their sanctity, so most of the human groups have a sacred father, who disqualify him from the qualities of glory, prevent him from accountability and criticism, and fight heavenly messages for him. In the research, the nudity patterns were discussed and linked to the first narratives, as were the food patterns in food and drink, and the two viewpoints, the missionary and the theological. In this regard, the research also discussed the economic value and its role In the consolidation or torn apart of human society. The methodology of this reading was to show the connection between the cultural

and textural structures of human mentality as a cultural structure that reveals the hidden of human patterns.

المقدمة

في اللحظة التي يُؤَشَرُ فيها أن الدين أفيون الشعوب، إذ يجعلهم مُخَدَّرِينَ وَعَاشِينَ عن الرؤية الصائبة، وفي كون الإسلام دينا إرهابيا، موشوما بمصطلح (الإسلاموفوبيا)، نطرح من خلال هذا البحث سؤال الدين، والنسق، فالذي يُؤَشَر عليه بالاتهام هو دين النسق، بالمعنى الثقافي، أو هو التدين، بوصف التدين ليس الدين وإنما هو التصور الشخصي له، والتمظهر النفسي للذات المتديِّنة، ولذلك قدَّمنا السؤال في هذا البحث عن معنى الدين، وطبيعته في الذات البشرية، ثم عرضنا منهجيتنا الثقافية على نسق الألفة الأبوية في القرآن الكريم ، فوجدناه ينحصر على صعيد الفعل الاجتماعي في ثلاثة موضوعات، وأربع سورٍ قرآنية، ناقشت بعض آياتها هذه الألفة، وحين قلنا: على صعيد الفعل الاجتماعي قصدنا استبعاد آيات الإلفاء الأبوي في الاعتقاد، وإنما حصرنا هذا الإلفاء في السلوك، الذي تمظهر في نسق العُري الذي عالجته سورة الأعراف المباركة، ونسق الطبيعة الغذائية في انتخاب المأكول والمشروب، الذي وجدناه يظهر في سورتي البقرة والمائدة المباركتين، والنسق الاقتصادي الذي برز في حوار شعيب(ع) مع أهل مدْيَن في سورة هود المباركة، فظهر في مطاوي البحث بدليل الاستقراء النصي–الثقافي، أن اتهام الدين بما تقدّمت له الإشارة هو محض افتراء وتجهيل، فالقرآن الكريم هو دعوة الصحوة الذهنية، والإعمال العقلي، والمنهجية العلمية، وان النسق هو شلل الوعي، وإلفاء السابقين من غير هدى، ومتابعة القول بلا دليل...

كَسْرُ البِنْيَةِ الثقافيةِ لَنَسَقِ الأُلْفَةِ الأَبَويَّةِ
في القرآن الكريم

ما الدين ؟

يعرف (جيمس فريزر) الدين بأنه: ((استمالة مصلحة القوى الأسمى من الانسان التي يعتقد انها توجه وتسيطر على مجرى الطبيعة والحياة الانسانية))[١]، فالدين وفق (فريزر) يؤسس لسد حاجة نفسية غريزية في الانسان؛ إذ بها يحقق الانسان اطمئنانه الذاتي، وذلك بالاتكاء على قوة مركزية تُؤمِّنُ مَخاوفَهُ، وتيسِّر رغباته، وهو –أي: الدين– وفقا لذلك عنصر أساسي في الذات البشرية، أما (إميل دوركهايم) فإنه يشير إلى أن وظيفة الدين تتمظهر بـ((تقوية الأواصر التي تربط الفرد بالمجتمع الذي هو عضو فيه))[٢]، ودعم الشعور الجمعي، والتكامل والتضامن بين أفراد المجتمع[٣] الذين يمارسون بعدا اعتقاديا واحدا، فكل معتقد ديني لابد أن يكون له اسم، وسدنة، وطقوس، وأعياد، وتعمل هذه الأمور مجتمعة على تعزيز الهوية الدينية التي يأتلف تحت عنوانها المتدينون بما يجعلهم يشكلون وحدة ثقافية تتبنى، وتدافع، وتعلل أفكارها الدينية ، فالانسان هو الكائن الوحيد كما يشير (هيجل) الذي يحرص على أن يكون له دين، فإنْ

كان التعريف الإغريقي للانسان كونه حيوانا ناطقا، فهنالك من يعتقد بأن ما يميز الانسان عن غيره كونه متدينا، فإننا نجد مجتمعات بدون حضارة، ومجتمعات بدون صناعة، لكن ليس هناك مجتمعات بلا دين، ((الأمر الذي دفع البعض إلى القول بأن الإيمان والتدين لم يكن قط شيئا مكتسبا، بل هو فطري وسبق وجود الانسان))[٤]، فالانسان وفق هذا المنظور ليس الذي يسير منتصبا على ساقين، بل هو الذي يتمثل النسق الديني، أي الذي يكون له دين، وشريعة، فالحدُّ الفاصل بين الانسانية، والحيوانية، أو بين التحضر، والهمجية هو الدين[٥]، والسؤال هنا: ما سبب هذا الربط الوثيق بين الدين، والتحضر الانساني؟ وفي الاجابة عن هذا السؤال توجهان:

الأول: إنَّ الدين نسق ثقافي لاحق في الظهور، فهو لا يظهر إلّا في المجتمعات التي حققت درجة معينة من التقدم، والذكاء، وتجاوزت مرحلة التوحش، أو الهمجية بحسب نظرية (جيمس فريزر) و(الأنثروبولوجيا التطورية) و(الأنثروبولوجيا الوظيفية) و(الأنثروبولوجيا الرمزية أو التفسيرية)[٦].

الثاني: إن الدين هو النسق الأصيل، لأن أول انسان من منظور الثقافة الإسلامية كان ذا دين، بل إنه النبي الأول من الأنبياء التسعة والعشرين الذين قص الله ذكرهم على محمد (ص)[٧] ، فالثقافة الإسلامية لا تؤمن بمجتمع أولي، فوضوي، لم يعرف الدين نسقا حياتيا، فهي لا ترى أن الأسبق لابد أن يكون غير ديني، أي أنها في البعد الديني لا تؤمن بالبعد التطوري فأول انسان نبي، بينما يوصّف المجتمع السابق على عصر الرسالة الإسلامية بالجاهلي، إن انسانية البشر، من منظور هذه الثقافة لا ترتبط بالتطور أو الهيئة ((بل في الامتثال لنسق ثقافي ذي مصدر الهي))[٨].

أما الدين بالمعنى العام في الحياة العربية قبل الإسلام فإنه لم يكن هامشا أو نشاطا ضامرا، بل كان مركز التصور الذهني الذي تدور حوله تفسيرات متعددة للكون وللمجاهيل، بل إن استقطاب الناس في مكة كان من خلال وضع صنمِ كُلِّ قبيلةٍ حولَ الكعبة، كي يُستعطف الآخرون بميولهم الدينية، أو بما يسميه (كليفورد غيرتس) بـ ((قوة النسق الثقافي)) الذي يعني به مركزية نسق ثقافي ما (دين ، فن ، ايديولوجيا، سياسة ، علم...) في حياة الأفراد الذين يتبنونه ((فبالنسبة للبعض، يكون ولاؤه الديني هو محور وجوده كله، فإيمانه هو ما يعيش من أجله وهو غالبا ما يكون مستعدا للموت من اجله))[٩]، فالفرد العربي كان يسعى لتمثُّل القيمِ الدينية والمحافظة عليها، ورفض كل ما يتعارض معها فكرا، وعملا[١٠]، وهذا الرفضُ المستميتُ والمُقْصِي للآخر، هو ما واجهه الأنبياء المرسلون، إذ واجهوا مقاومة عنيفة تستمد طاقاتها من قوة النسق المهيمن، ذي المركزية العالية التي ترى في أي تبشير سماوي عقوقا لتوجهاتها النسقية، التي تستمد شرعيتها من المدة الطويلة التي تعود إليها الممارسة الدينية، ومن انتمائها إلى الآباء الأوائل، الذي يعد أي خروج عنهم خروجا عن القيم التي توصّف اجتماعيا بالأعراف ذات المصداقية التواترية، ففي البعد الاجتماعي يكتسب المقدَّس قدسيته من المقدِّس، وبما ان الآباء الأوائل، ذوات متعالية على النقد، لذلك شكَّل أيُّ قدح باعتقاداتهم مساسا بالذات المقدِّسة لهم، وإن كان الداعي لهذا النقد ممن

يُشتهر بالعقل، والصلاح، فالدين السائد في مجتمع الجزيرة قبل الإسلام هو الدين الشعبي، ذو المرجعية الفكرية التي تستمد معتقداتها من أب أعلى يسير على منواله أبناؤه بوصفه يُجسد الوساطة بينهم وبين الله، إذ إن النسق الثقافي رفع من هذا الأب إلى مستوى التابو الذي يُحرَّمُ مساءلته، فالسؤال فيه غير وارد، بل محرم، لأنه نصّ متعال على النقد، ولفتح هذا النسق علينا أن نبحث في المحيط الذي شكل هذا النص، إذ عدّ (درمنغهام) العلاقة بين المقدَّس والمكان أحد المفاتيح الأساسية المؤدية إلى فهم مختلف تمظهرات المقدَّس، وتجسداته[١١] وبما انه محيط صحراوي، بالمعنى الثقافي، رعوي بالمعنى الاجتماعي، فهو محيط يؤسس الذهنيةَ القبلية بكل التصورات المتصلة بالكون من سحر، وأساطير، وحياة، وتاريخ، وبما انه كذلك، وهو رعوي، فهو يميل إلى سيادة سلطة الراعي، وقدسيته، كما ان الفضاء الصحراوي يُبرز الحاجةَ إلى شكل من أشكال المركزية التي تسيِّر، وتقنن قلة الموارد الطبيعية، بل وتوجه التصورات الذهنية بما يتناسب مع طبيعة المكان فيصبح الراعي مقدَّسا، بل مرعبا، ويجب احترامه، لأنَّ أي خرم في احترامه قد يؤسس مدخلا لتدنيسه كما يشير بذلك (ر.ماكاريوس) في ان البحث في المقدس ذاته، إبطال لمفعول قدسيته، بل إنه شكل من أشكال المحرم، بل إنه يصبح مدنسا إن هو أُخضِع للدراسة[١٢]، ومن هنا ندرك سبب رفض العرب قبل الإسلام المساس بمقدساتهم، بل عدم قدرتهم على مناقشة اعتقاداتهم، إذ إن أيَّ نقاش يعني زحزحة مقدساتهم عن ساحة القدسية، وتقريبها من دنس المُفكَّر فيه، والمشكوك في أمره، ومن هنا كانت معظم إجاباتهم على أسئلة الأنبياء بخصوص معتقداتهم الوثنية – كما سنرى في مطاوي البحث– بالإحالة إلى الآباء، فإن كان الآباء متيقنين، فهم بالضرورة متيقنون وزيادة – بحسبهم –، فصورة الأب الراعي ذي المركزية الراسخة مرتبطةٌ في اعتقاداتهم بصورة الإله، وهذا ما أشار إليه علماء (الاجتماع الديني والأنثروبولوجيا) في تحديد العلاقة بين الله والدين من جهة، والعائلة من جهة ثانية، في وجود أوجه للتشابه والتكامل بين صورة الله، وصورة الأب في أذهان المؤمنين في مختلف الأديان، إذ يبدو أن مفهوم الله عند المؤمنين هو امتداد، وإعمام، وتجريد، وإسقاط، إن لم يكن انعكاسا لمفهوم الأب[١٣] .

أما في المجتمع العربي قبل الإسلام فقد كان لكل قبيلة صنم تعبده وتطوف عليه أيام الحج، فلما جاء الإسلام حاول إلغاء الانتماء القبلي من الناحية الدينية، محاولا استبداله بالانتماء للأمة الإسلامية، فبدلا من هوية القبيلة التي عززها الآباء الأوائل أكد على هوية الأمة الإسلامية كإطار للانتماء، ومن هنا ظهر صراع بين القبيلة والإسلام أو بين الشعبي والإلهي، والحديث النبوي يقول: إن ((كلّ مولودٍ يولدُ على الفطرة، فأبواهُ يُهوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه، كمثلِ البَهيمَةِ تُنْتِجُ البهيمةَ، هل ترى فيها جدعاءَ))[١٤]، وهذه نظرة مهمة تبرز أثر الفعل الأبوي في غرس القيم الاعتقادية التي ستصبح فيما بعد مقدسات ذهنية متعالية على النقد أو التفكير، قال تعالى: ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ))[١٥]، إنهم لا يحتكمون إلى المنطق العلمي، لأن القدسية الأبوية/البطريركية تجعلهم يَعْشُونَ دونَ الرؤية العقلية الواضحة، وهنا نستعمل الأبوية

بمعناها الاصطلاحي، فمفردة (البطريركية Patriarchy) تعود إلى مفردتين يونانيتين تعنيان (حكم الأب) وهذا المصطلح شائع في الدراسات النسوية، والأنثروبولوجيا إذ وجد الأنثروبولوجيون أن أنظمة الحكم الشائعة في المجتمعات البدائية تتمثل بنظام حكم أبوي لرجل كبير في السن يكون بمثابة الأب لبقية أفراد القبيلة[١٦]، ويمارسُ هذا الأب الأعلى هيمنته على متبعيه من خلال الترهيب، والترغيب، ومن خلال نَحْلِهِ صفات القداسة المعرفية لذاته التي تصبح بعد مرور مدة من الزمن ذات متعالية على النقد، بل تعدُّ هي المرجعية الفكرية لمتّبعيها، إنها هيمنة ثقافية تمارس سلطتها الاجتماعية بفرضِ وعيٍ معين يُعبِّرُ عن (رؤية العالم)، وهذا ما أشار له (غرامشي) في ان تسيّد طبقة اجتماعية، وهيمنتها يرتبط ارتباطا عضويا بهيمنة ثقافية وفكرية تؤسس لتلك السيادة من خلال مثقفين ينظّمون وينظرون لتلك الطبقة[١٧] التي هي في بحثنا هذا طبقة الآباء المقدَسين، إذ كان (الملأ) وهم علِّيَّة القوم (المثقفون أو النخبة الاجتماعية) الحراسَ والمنظرين لثبات الفكر الأبوي وجعله دائما في ساحة المقدَّس المتعالي على التشكيك أو التساؤل، وهنا نُحيل إلى ان الحكم كثيرا ما كان يرتبط في الذهنيات القديمة بالهيمنة المطلقة، وسموِّ الحاكم عن منطقة التشكيك، إذ إن مصطلح (الهيمنة Hegemony) يعود في أصله اليوناني إلى كلمة (إيغيمون Egemon) التي تعني الحاكم او القائد[١٨]، فالحاكم، في الفهم الشعبي، هو المهيمن الذي له حق فرض الرؤى، وليس على متَّبعيه إلَّا الانصياع والاتباع، إنها أنساق ثقافية كتبتها البشرية بسيرتها التاريخية الممتدة والمتداخلة، وكلما قلّبنا في صفحات هذا التاريخ تتكشف الضوابط المفاهيمية المتحكمة بهذه المسيرة، وكلَّما ترجم البشرُ وقائعَ حياتهم بالقوانين والعبر والاداب ينفتح تاريخ المصطلح والمفهوم بما تظهره أو تضمره المعتقدات الانسانية في الحياة والوجود، فبجوار ((حقيقة أن البشر يُخلقون سواسية، لافرق بينهم، نرى أن البشر يجهدون لانتهاك هذه الحقيقة، وتسعى كل أمة لكي تثبت أنها الأفضل والأعلى، يظهر ذلك لدى الأمم والشعوب، كما يظهر لدى الجماعات ولدى فرق مباريات كرة القدم وجمهورها. وهكذا تسعى الجماعات لتحويل ما هو طبيعي وفطري إلى مشروع لإحداث فروق تمييزية وصناعة نسق متعال ومنفصل))[١٩]، إنها بنية ثقافية تنماز بها المجتمعات الانسانية، ومعنى أنها (بنية) أنها ليست صورة الشيء، أو هيكله، أو وحدته المادية، أو التصميم الكلي الذي يربط أجزاءه فحسب، وإنما هي القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته أيضا، وعليه فإنّ هذه البنى متغلغلة، وعميقة، وذات سطح، وعمق، أما السطح منها، فإنه يتشكل من وحداتها المادية الظاهرة، وهو متيسر الإدراك، وأما البنية العميقة، فهي صعبة الإدراك، وتتطلب إعمال العقل، والحواس، والخيال، والحدس[٢٠]، وهنا نلتفت إلى تأكيد القرآن الكريم على إعمال العقل، والتفكر، والنظر في الآفاق، لكسر البنية الثقافية العميقة التي جعلت من الآباء المقدَّسين مرجعيةً معرفية في الدين والثقافة، فمن أجل تأسيس نسق إلهي لابد من كسر النسق الشعبي، بإعطاءِ آلياتِ التفكير المنهجي التي تؤسس للعقل قدرةَ اجتراح الفرضيات الجديدة وحلحلة الساكن من أنساقه الثابتة، ولدفع الذوات الانسانية نحو النضج الذهني، لأن هذه الذوات هي كائنات منغمسة في

التاريخ، أو كما يرى هيجل أنها ((تحمل كلّ تراث الثقافة والتاريخ، وكأنها هي نفسها مجرد ثمرة لنوعها))[٢١]، ومن هنا يأتي اشتغالنا في هذا البحث لإقامة التناظر بين البنية النصية، والبنية الذهنية للجماعة اللغوية، تحت مفهوم البنية الثقافية التي تتخذ بعدا معرفيا في الحتمية اللسانية لدى (إدوارد سابير)، وفي البنيوية التكوينية لدى (لوسيان كولدمان)[٢٢]، ومن خلال النسق الثقافي الذي يشير إلى بنيتين متضادتين تعمل كل منهما على نسخ الأخرى، كما إنّه – أي النسق– ذو طبيعة جمعية بمعنى أن مؤلفه ليس فردا، بل مجتمعا، وإنْ تمظهرت نصوصُه بأقوالٍ فردية، فإنَّما هي انكتاباتٌ أملاها الوعيُ الجمعي وفقَ قوانينه، واستنادا إلى عمقه التاريخي، هذا العمق الذي يدفع الجماهير إلى استهلاكه بحماس، بل إنَّهُ يُكسِبُهُ جبروتا رمزيا يؤسسُ الذائقةَ، والوعيَ، ويُخطِطُ أنماطَ التفكير، أما الصورة التي يتمظهر بها النص النسقي فهي الصورة الجمالية أو القدسية التي تسمح بتمرير العيوب أو القُبْحِيَّات دونَ مراجعةٍ أو تمحيص[٢٣]، ومِن هنا يُعرِّف (غيرتس) الانسان بوصفه ((أكثر الحيوانات المحكومة، وعلى نحو يائس، بميكانزمات الضبط والتحكم التي تتجاوز الميكانزمات الوراثية، كتلك البرامج الثقافية، التي تنظم سلوكه))[٢٤]، فالانسان، وبما أنه كائن اجتماعي، فإنَّه ينتظم في جَدوَلَةٍ ذهنية تُهيمنُ على تصوراته الفكرية، فهي قوانين وتعليمات يسير ملتزما بمحدداتها هذا الكائن، وهي أشبه ما تكون بالبرامج في علم الحاسوب[٢٥] .

سنقرأ في هذا الموضوع قوة النسق المتمركز في الاتصال بالآباء بل والإحالة في أيِّ أمر غير منطقي وغير ملتزم بالمنهج العقلي إليهم في إشارة من قبل المشركين أنهم غير قادرين على كسر أنساق متوارثة وضاربة في عمق سلوكياتهم الحياتية بشكل متواتر، وسنبدأ بسورة الأعراف من القرآن الكريم وهي سورة مكية إلّا بعض آياتها[٢٦]، إذ تشير الآية الثانية منها مباشرة إلى النبي (ص) ألّا يُحرج من تبليغ آيات ربه، وَلِمَ الحَرَج؟ الحرجُ حين تَكسِرُ نسقا منسوبا إلى ذواتٍ متكئة على نسبتها الأبوية وإبلاغهم أنهم مخطئون، بل فاحشون، كما سنرى فيما بعد ، ثم تأتي الآية الثالثة طارحةً المنهج القراني في الاتِّباع، إذ يقول الله تعالى: ((اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ))[٢٧]، وهنا تشير الآية إلى عدم التمركز النسقي في اتخاذ أولياء غير مسددين بالمعرفة، بدليل أن ذيلَ الآية يشير إلى الذاكرة المخرومة في الشرائح النسقية من المجتمعات، فهي –أي الذاكرة– غير مؤسسة بشكل عميق في هذه المجتمعات، وبما أن السياق هنا سياق مكَّة ومحيطها فستدفعهم الآية إلى الاستذكار في محاولة معرفيةٍ لحلحلة ثباتهم على النسق((فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ))[٢٨](ونَقُصَّنَّ) هنا فعل مضارع مبني على الفتح في محل رفع، ومضارعته تشير إلى استمرار هذه الفعلية، أي استمرارية القصّ لكل النسقيين، على وفق قاعدة الجري والانطباق، و(عَلَيْهِم) جار ومجرور متعلق بـ (نَقُصَّنَّ) في موضع انزياح من الناحية الأسلوبية، فالتقدير (نقصن بعلم عليهم)، وهنا يأتي الانزياح الأسلوبي لتخصيص القصِّ بهؤلاء النسقيين، فهم، أهل مكة زمن نزول الآية، وأهل كلّ زمن تنطبق عليه، ثم نأتي إلى النقطة العليا

التي يريد أن يؤسسها القرانُ الكريم، وهي نقطة المنهجية العلمية في الإدراك والاعتقاد، إذ إننا ندور في بحثنا ضمن الألفة الأبوية حول نقطتين هما: النقطة العليا: صوت المنطق العلمي، والنقطة الدنيا: صوت المنطق النسقي. والنقطة العليا هنا قوله تعالى: ((بِعِلْمٍ)) التي هي جار ومجرور متعلق بحال من فاعل (نَقُصَّنَّ)، أي: متلبسين بعلم، والباء للمصاحبة. وهنا يوضح القرانُ الكريم بأن المنطق الجدليّ الذي يعتمده، هو المنطق العلمي، الذي يتناقض مع الموقف السكوني الذي يتكئ عليه المؤمنون بالوراثة المجتمعية، دليلا على معتقداتهم، فهم، أي: النسقيين، عراة عن العلم والمعرفة، وغائبون عن الوعي المنهجي بسبب تسليمهم بما أَلْفَوْا آباءَهم عليه وثباتهم في ذلك، كلُّ هذا الموقف يقابله بصورةٍ تناقضيةٍ قولُهُ تعالى: ((وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ)) وكُنَّا: فعل ماضٍ ناقص واسمه يحيل إلى القدم. وغائِبينَ: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الياء، في إشارة إلى الحضور والمعرفة والعلم، لأنّ جملة (ماكنا غائبين) في محل نصب، معطوفة على الحال المحذوفة المتعلق بها الجار والمجرور (بعلم)، وحين يعطف القران الكريم العلم على عدم الغياب، أي: الحضور، يشير إلى المعرفة الحقيقية المُدْرَكَة بالوجود الفعلي فيها، والمتمثل بالذات الإلهية، لا العدم عنها، والمتمثل بالمؤتلفين في خط الأبوة النسقي. ثم إن جملة ((نقصَّنَّ)) لا محل لها من الإعراب، نعم، ولكنها جواب قسم مقدر في إحالة دلالية إلى أن النسق الذي يتعامل معه النصّ القرانيّ في هذا الموضع هو نسق مُعارض، لذلك يأتي الخبر إنكاريا في إشارة إلى رسوخه في الذوات التي تتبناه صاغرا عن كابر، والنصّ القرآني نصّ متصل دلاليا في هذه السورة المباركة من ناحية الإشارة إلى هذا النسق المُصِر، بل والذي يُعارضُ وينكرُ كُلَّ مَن يخالفُهُ فمنذُ بداية الآيات في هذه السورة خوطِبَ النبيُّ (ص) بوجوب المجابهة لهذه المتبنَّيات المجتمعية دونَ الشعور بالحَرَجِ مِن حامليها الذين يعدونَ أيَّ مناقشةٍ لها مساسا شخصيا بهم، فهذه الذواتُ ذوات متضخمة تجدُ نفسها متعالية على النقد والمساءلة، ثم إنها ذوات تُقصي الآخرَ مهما كان هذا الآخر فأيُّ اختلاف معها يُقرأُ بوصفه معاداة وتقليلا للشأن، وهذه هي مواصفاتُ النقطة الدنيا فهي نقطة منغمسة في ذاتها، غير متبعة للمنهج العلمي في البحث والاستقصاء، لذلك يحضرها النصُ القرآني في هذه السورة بمشهدين، وهذان المشهدان مستمران في عرض أحداثهما على مسارح متغيرة زمكانيا، فالمَثَلُ في هذه السورة، هو الشيطانُ والانسانُ الاولُ (آدم وحواء)، والمُمَثَّلُ لَه هم أهلُ مكة زمنَ النسقِ المُدان، وأهلُ كل نسقٍ مُشابِه فيما بعد من الأزمان، فما هي القصة التي نتحدث عنها؟ والتي استدعت أن يجابهها النبي (ص) من غير حرج، إنها قصة المُقَدَّسِ والمُدَنَّسِ، وهي قصة اللِّباس، والعُري، أما المنهجية التي يحددها القرانُ الكريم لفكِ الاشتباك في هذه القصة فهو كسر الألفة الأبوية النسقية لصالح العلم والإدراك المعرفي، قال تعالى:((وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[٢٩]، يشير الطبري في تفسيره لهذه الآية إلى أن المشركين كانوا يطوفون حول الكعبة عراة، وحجتهم في ذلك أنهم

يريدون أن يكونوا كما ولدتهم أمهاتهم، وهؤلاء هم الحُمْس، أي: المتشددين في الحفاظ على دينهم[٣٠]، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسعة[٣١] أو الشيء، فتقول:

اليومَ يبـدو بعضُـــهُ أو كلُّهُ فمـــا بـــدا منهُ فـــلا أُحِلُّـــهُ[٣٢]

نعم إنهم المتشددون في الاتباع النسقي لذلك يجابههم القران الكريم بوصف فعلهم بالفاحشة، والفحش هو((القبيح من القول أو الفعل ... وكلّ أمر لا يكون موافقا للحق والقدر، فهو فاحشة. قال ابن جني: وقالوا فاحش وفحشاء كجاهل وجهلاء، حيث كان الفحش ضربا من ضروب الجهل ونقيضا للحِلْم))[٣٣]، أي: للعقل، وهنا المواجهة التي يطلقها صوت المنطق العلمي في توصيف المشركين بالجهل، لهذه الممارسة القُبْحِيَّةِ، فبماذا يرد الصوتُ النسقي؟ إنهم يقولون: ((وجدنا عليها آباءنا))[٣٤] في ألفة أبوية لاتهتز لصوت المنطق المُشَخِّص لحالةٍ تنعدم فيها الحضارة والذوق والأخلاق، وربما يجب علينا في هذا الموضع أن نلجأ للنحو وبعض قواعده كي نعرف لماذا هذا التمركز من قبلهم على هذه النقطة وعدم قدرتهم على مساءلة الذات في شأنٍ واضح عند معظمنا. فـ(وجد): فعل ماض مبني على السكون والـ (نا): فاعل يعود عليهم، و (على): حرف جر. و (ها): ضمير في محل جر متعلق بمحذوف حال من آباء: أي: وجدوا آباءهم عاكفين على هذه الفاحشة، والمضي هنا دليل على قِدَم هذه الممارسة، مايكسبها في رصيدهم الاجتماعي قيمة تداولية كما ان عكوف آبائهم عليها دليل تواتر هذه الممارسة، وعدم انقطاعها، مايجعلها من الناحية الثقافية مقدسةً في أذهانهم النسقية، فنحن هنا إذن أمام مقدَّس نسقي توافر فيه شرطا التقديس المجتمعي، من حيث توافره على التاريخ الطويل، والتواتر المكرور، وفضلا عن ذلك فإن في إجابتهم هذه تقديما وتأخيرا يوضح بشكل أكبر سبب مجابهتم المنطق العلمي في محاكمة الفواحش والرتابة عليها، فالأصل من غير انزياح (وجدنا آباءنا عليها)، ولكن القران يقول:((وجدنا عليها آباءنا)) في تقديم للجار والمجرور (عليها) على المفعول به (آباءنا) في انزياح أسلوبي يَعْدُلُ من خلاله القران الكريم عن الجملة الأصل إلى جملة أخرى، فلماذا هذا الانزياح؟ لو لم يستعمل القران جملته واستعمل الجملة المقدرة لجاز من ناحية الدلالة أن يقول المشركون:(وجدنا آباءنا عليها وفلانا وفلانا)، بمعنى: إن هذه الفاحشة ليست خاصة بهم. فالتقديم للجار والمجرور هنا أفاد تخصيص هذا الفعل بهم دون سواهم وعند هذا الحدّ ندرك أن هذا الفعل هو فعل ذو خصوصية متعلقة بهم، وليس فعلا عاما، لهم، ولسواهم مايكسبه قيمة عليا لديهم، فنحن هنا نتعامل مع عنصر من عناصر الهوية المُشَكِّلَةِ لَهُم، والمنمازون بها على من سواهم، وأيُّ قولٍ فيها سيمثل من وجهة نظرهم، الآخرَ، بالمعنى الفلسفي، أي: المعادي على وفق ذواتهم المتضخمة، والنافية للمختلف، مايعني أنَّ سبب التمسك بهذا الفعل هنا هو سبب هُوِيَّاتِي يحجب كلَّ دليلٍ منطقي يُشككُ فيه، أو يحاولُ مُساءلتَه، فكيف إذن مع خطاب سَيوصِّفُ فعلتهم هذه بالجهل والقبح- وهي كذلك – سيقفون بالضدّ منه أكيدا، وَسَيُحرَجُ مُحاجِجُهُم فيهِ كذلك، إذ إنه سيكشف عورتَهم المجتمعية، أما هم فسيحاولون التبرير، وسيكون هذا التبرير تبريرا نسقيا كذلك، أي: إنه

سَيُحيلُ إلى جمالي، أو قدسي متعالٍ عن المساءلة بخلاف صوت القرآن الذي كان يحيل إلى العلم والتذكر وعدم الجهل والنسيان، فالمشركون بعدما أحالوا سَبَبَ عكوفهم على الفاحشة إلى إلفائهم آباءهم عليها، يعطفون بالقول: ((والله أمرنا بها)) وقد أشرنا في بداية البحث إلى أن الوثنيين يجدون أنعكاس صورة الآلهة في صور آبائهم، وهنا ظهر صوت النسق التبريري بالإحالة إلى مقدَّسٍ دون تعليل علمي بينما يأتي صوت المنطق العلمي في القران الكريم بإيضاح المعيار الإلهي في السلوك بقوله تعالى:((إنّ الله لايأمر بالفحشاء))، فأيُّ جهل أو قبح هو منافٍ للنقطة العليا التي يمثلها المنطق الإلهي، ويأتي الرد هنا بـ(إنّ) الموكدة لنفي هذا الأمر عن الذات الالهية وناسخة لقولهم التبريري ذلك، ثم تُتِمُّ الآية الكريمة ردَّها ادعاءهم بالقول: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) في استفهام إنكاري يخرج لغرض التوبيخ لهذه الادعاءات النسقية التي تتقوّل على الله بغير علم، وهنا تبرز نقطتنا العليا وهي تدور على (العلم) إذ يشير هذا الصوت المنطقي إلى أن التوجه لايكون من جهل بل لابد من خط المعرفة العلمية في الحكم على الأشياء أو تبنيها، بينما جاء فعلهم من على غير هذا المبدأ لذلك يعمل القران الكريم في هذه السورة على تعريفهم القصة من بدايتها، من الموقف الأول للانسان الأول مع الشيطان، هذا المخلوق المتضخم الذات، صاحب الهوية النافية للآخر، في ربط دلالي بين حالهم وحال الشيطان، ليشير القرآن إلى أن الموقف النسقي الذي هم عليه مع أنبيائهم مشابه لموقف الشيطان مع آدم (ع) ((قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ))[٣٥] ، فهو، وهم، غير مراعين للنقطة العليا، بل نسقيون كامل النسقية، غاوون، بمعنى مبتعدون عن الخط العلمي في التفكير، فإن كان الخط المستقيم أقرب مسافة بين نقطتين كما يبرهن الرياضيون علميا على ذلك، فهم غير مراعين لهذا البرهان العلمي في التفكير بل ميَّالون للالتواء والانحراف عن المنهجية العلمية في التفكير، وقد أشرنا للخط المستقيم بالمعنى الرياضي الحديث، لربطه بالصراط المستقيم الذي يطرحه القرآن الكريم بالمعنى العقائدي بوصفه منهجية واجبةَ الاتباع للمؤمنين، وهو الخط ذاته الذي يتوعدنا من خلاله الشيطان بعد انحرافه عنه إذ يقول: ((قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ))[٣٦] ، إنَّ الخطاب في هذا الكتاب المقدس هو خطاب لذوي العقول الراجحة غير النسقية، فمفردة الشيطان واستعمالها في هذا الخطاب القرآني المناقِش لآليات التفكير المنطقي وغير المنطقي ترتبط كما يشير صاحب اللسان بمفردة الشَّطَن وهي: ((الحبل الطويل الشديد الفتل))[٣٧] ، وهنا نُحيلُ القارئ الكريم إلى الربط بين هذا المعنى وبين شَرْطَي التقديس النسقي بالمعنى المجتمعي، فقد توافر في هذه المفردة الطول الذي يقابل الامتداد التاريخي، والفتل الذي يقابل التكرار، وإذا ماسرنا مع تقلبات معنى هذه الكلمة فسنجدها تُطْلَقُ على البئر الشطون، أي: البعيدة القعر في جرابها عوج، والشاطن: البعيد عن الحق. والشَّطْنُ: مصدر شَطَنَهُ يَشْطُنُهُ شَطْنا خالفه عن وجهه ونيته، والشاطن: الخبيث. والشيطان: فيعال من شَطَنَ إذا بَعُد[٣٨]. والقرآن الكريم حين يوظف هذه المفردة في مجتمع لغوي، قاصدا دلالتها في أذهانهم لبيان أنَّ القرب إنما يكون في التفكير المنهجي، أما اتخاذ طرق

بعيدة وملتوية وخبيثة فهي طرق التفكير غير السوي، وعند هذه النقطة نُذَكِّرُ القارئ الكريم بأن الآية مدار حديثنا هذا كله هي الآية الثامنة والعشرون من سورة الأعراف، آية الألفة الأبوية التي شخَّصت الفاحشةَ في فعل المشركين، وهي كما فسر القرطبي وغيره، حجهم عراة حول الكعبة، وتبريرهم بالآباء وغير ذلك دليل على فعلتهم هذه. ولكنَّ القران الكريم وقبل أن يتطرق إلى هذه الآية سرد عليهم كيف يحاول المُدَنَسُ (الشيطان) حَرفَهم عن الجادة المستقيمة، الصراط السوي، وماذا فعل، في درس وعظي يقارن بين عُريِّهم، والعُريِّ الأول، وكلا العريين كانا بسبب ابتعاد الانسان عن الالتزام بخط العلم والالتجاء للشيطان، ففي الآيات من التاسعة عشرة حتى الثالثة والعشرين يقول رب العزة:((وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ. فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ))[٣٩] ، وهنا نلاحظ الشبه بين الموقفين، موقف إبداء السوءات والخصف عليهما من ورق الجنة، وبين التي تحج عارية وتضع النسعة على قبلها في صورة تبين نتيجة الاتباع الشيطاني أو النسقي فلا فرق بينهما فكلاهما يؤديان إلى أفعال تبعد الانسان عن تحضره، واختلافه عن باقي المخلوقات، وهي فواحش، أي: قبحيات لايرتضيها المنطق العلمي السوي، وبما إننا في مبحث الألفة الأبوية فلا يغيب الربط كذلك بين تبرير المشركين بأنهم وجدوا آباءهم على هذا الموقف وبين آدم الأب الأول مع مراعاة الفارق في ان آدم وحواء أدركا فعلتهما وعادا عن طريق المخالفة ((قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[٤٠] ، بينما النسقيون يُصرُّون على مواقفهم في عدم إعمال العقل المنهجي كما سنرى بعد قليل، أما المنهجيون فهم عقلانيون متذكرون دائما لخطورة الأفعال النسقية ومرورها في السلوك البشري في مخاتلة متسللة دائما تحت أردية الجمالي أو القدسيّ، لذلك نجد الخطاب القرآني يذكرنا دائما حتى لاننخدع بالمتداول والشائع ويرشدنا لأن نَمْتَّحَ دائما من معين الذاكرة الانسانية لاستيعاب العِبر منها، فالذين لا يقرؤون التاريخ هم الذين يكررون الأخطاء نفسها كل مرة، فيقول:((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ))[٤١] ، والآية الكريمة تشير إلى قيمة اللباس وبعض نوعياته في إشارة إلى إنه الذي يميِّزُ الانسانَ عن الحيوان، وهنا لن ندخل في هذا التفصيل كثيرا على أهميته، ولكن سننتقل إلى الاستعارة المكنيِّة التخيلية في قوله تعالى ((وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ)) إذ يعرض القران الكريم في صورة بلاغية قيمةَ التقوى، التي تعني الحذر فـ((رجل تقي... معناه أنه مُوَقٍّ نفسه من العذاب والمعاصي بالعمل الصالح ... فقيل تقي يتقي بمعنى استقبل الشيء وتوقَّاه))[٤٢] ، واللباس المطروح هنا نوعان: الأول: هو اللباس الخارجي الذي يميز الانسان عن سواه، والذي هو حاجة بيئية واجتماعية، والثاني: هو الداخلي بمعنى الذهني الذي يجب أن ينماز بالحذر

من الأشياء التي نتوارثها في مجتمعاتنا وألّا نتقبل أيّ شيء، لأنه شائع فقط، بل لابد من إعمال عين العقل في الأمور، وربما يكون هنا، سوءُ الظن من حسن الفطن، كما قالت العرب قديما، أو نظرية الشك الديكارتي بالمعنى الفلسفي الحديث، هو المعيار الذي يجب نتعامل من خلاله مع الموروثات المجتمعية كي لانقع تحت طائلة الانجذاب إلى النسقي الذي يكون دائما مُعَزَّزَا بطاقة الدفع الجمعي التي تجعلنا قّطيعيينَ أكثر ما نكون ذوات متفردة ومتميزة في وعيها النقدي، ثم إنَّ في هذه الآية الكريمة لفتة نحوية في التوجيه إلى اللباس الداخلي، أي: التقوى، فكلمة لباس: مبتدأ مرفوع وهو مضاف والتقوى مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف في إشارة بلاغية إلى كون الابتداء دائما لا يكون الّا بالوعي الناضج، فالقران الكريم ذو قصدية في اختيار الحروف والكلمات والجمل وفي الترتيب الموقعي لحروفه وكلماته وجمله، فالأسلوب كما تشير المدارس النقدية الحديثة يتكون من محوري الاختيار والتوزيع، ومن هنا ندرك أهمية وقوع هذه الجملة القرآنية موقعَ الابتداء، ثم إن كلمة (ذلك) التي هي اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ بلامها التي تشير للبعد وكافها التي للخطاب تحيل من الناحية البلاغية إلى عظم هذا الأمر وعلو شأنه، لذلك يحال إليه باسم الإشارة الذي للبعيد، فهو، أي: لباس التقوى، بمعنى المنهج العلمي الحذر، والموضوعي في الحكم على الأشياء، فهو ليس شيئا سهل الإدراك، بل هو أمر عظيم، فهو منهجية علمية يتطلب امتلاكها الابتعاد عن الرغبات والأهواء الشخصية وعدم اتباع الفكر القطيعي، ومن هنا يمكن أن نقول إن التقوى التي يطرحها القران الكريم بالمعنى العقائدي هي المعادل للموضوعية في الحقول العلمية فهي الحذر من الهوى وضرورة الالتزام بالمنهج العلمي، ثم إن ذيل هذه الآية المباركة يختتم بـ (لعلهم يذَّكَّرون)، إذ إن الذكرى هي المرشدة للطريق السوية بخلاف النسيان الذي هو آفة العلم، فنسيان المشركين تاريخ الأمم السابقة هو مازيَّن لهم فعلَ الآباء من عبادة الأوثان واجتراح طقوس تبتعد عن الشرعة العقلية السوية، لذلك نجد القرآن الكريم يشحذ الذاكرة بتغذيتها الأحداثَ الماضيةَ ويطالعنا في ذم التقليد وذم الكثير من الجهالات، ومنها الألفة الأبوية ففي هذه السورة التي نحن بصددها، وهي سورة الأعراف المباركة يعود في الآية الخامسة والستين وما بعدها بالقص لما فعلته الألفة الأبوية بالنسقيين إذ كان مصيرهم الاستئصال حتى لايَشيعَ وباؤهم، إذ يقول تعالى:((... وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ))[٤٣] ، أما بداية القصّ لهؤلاء المقطوعي الدابر فيبدأ بالقول:((وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ. قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[٤٤] ، وهنا نلاحظ إحالةَ هود (ع) قومه إلى معيار التقوى الذي تكلمنا فيه سابقا كي يرشدوا، ويدركوا الحكم الصواب، ونلاحظ في الوقت نفسه، الرادّون عليه، أو حراس النسق بمعنى آخر، وهم الملأ أي عليّة القوم، وقد بينَّا سابقا، ونحن نتحدث عن الدين كيف تعمل بعض النخب المجتمعية، أو المثقفون في التوجيه الآيديولوجي للمجاميع البشرية، وكيف يُرسّخونَ القيمَ التي يريدون إشاعتها، والنخبة المجتمعية هنا أي الملأ من (عاد) كانت حجتهم على أحقية ما يمارسونه من

عبادةٍ، قولُهم: ((... أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))[٤٥] ، وهذه هي الحجة النسقية الكبرى في أذهانهم، والتي تمر دون مساءلة، فعبادتهم غير قابلة للشك، لأنها عبادة الآباء المُألَّهين نسقيا، كما إنها وفق تصورهم حقَّة، لأنها قديمة، وكل قديم في التصور النسقي جيد، لذلك نشهد كثيرا، وحتى يومنا هذا صراعا بين القديم والجديد، وعلى الصعد كافة، وهي أي: أصالة القديم، ورداءة الجديد، خدعة الذاكرة، التي تجعل منّا مشدودين إلى القِدَمِ وَعَاشِينَ عن الرؤية المستقبلية الواضحة، فإنْ سألنا معاصرينا على سبيل المثال: أيُّ أزمانكم أجمل؟ سيحيلنا معظمهم إلى جودة الماضي، ورداءة الحاضر، حتى غدا كثير من أقراننا يطلقون على الماضي القريب تسميةَ الزمن الجميل، في أحالة ضامرة إلى مركزية ذلك الماضي في أذهانهم وقدسيته النسقية في التصور العام[٤٦]، وهذا الأمر هو نفسه ما انطلق منه (العاديون)[٤٧] في هذه القصة؛ لذلك نجد القرآن الكريم يعيد سردها على الوثنيين زمن الرسالة، وعلى غيرهم في أزمان التلقي المختلفة حتى لاينخدع الانسان بالذاكرة المخرومة، بل يعتمد التاريخ المستند إلى الأسس العلمية معيارا منهجيا في الحكم على الأمور كي ينجو من جهالات النسقيين قال تعالى:((فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ))[٤٨] فقد كان هود(ع) والسائرون على شرعته من الناجين، أما المؤتلفون في عبادة آبائهم فقد استؤصلوا لأنهم اتبعوا أهواءهم، ولأنهم لم يعتمدوا الأدلة المنطقية في تعليل متبنياتهم الفكرية، وهذا هو مآل القطيعيين، إنهم خارج التاريخ، بالمعنى الفلسفي، فالتاريخ صناعة العقل، والإرادة، أما الأماني، والإحالات المتضخمة، والمتكئة على إرث أجوف، فهي تبريرات تستند إليها الفئاتُ المندحرة فكريا، وأما المنتصرون فهم أصحاب الحجَّة، والدليل العلمي، والإجراء المنطقي قال تعالى:((قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ))[٤٩] ، والاية تشير هنا إلى وقوع العذاب، أي: وجوبه، كما يشير الطبري[٥٠] إلى النسقيين الذين لايعتمدون البراهين الثابتة في معتقداتهم الذهنية وإلى ائتلاف البنوّة مع خط الأبوة في ألفة مزاجية، وهوى ذاتيّ دون سلطان معرفي في تقريع واضح لهذا النسق الذي يُؤسِّس ميلانا وانحرافا واضحا عن صيرورة النضج الانساني. ثم إننا إذا أردنا أن نكثِّف القول فيما تقدّم فبالإمكان القول إننا بإزاء منهجين، منهج نسقي يؤسس للجمود والثبات، وبالتالي إلى التخلف عن الوعي الانساني الذي لابد له من خط تصاعدي في الإدراك المعرفي، ومنهج آخر حضاري يهدف إلى وضع الإنسان في خط التكامل الحضاري من خلال تميِّزه على صعيد اللباس والتفكير، فالآية موضع المناقشة الأبوية كانت تعيبُ عليهم عودتهم إلى البدائية في التعري ومشابهة بقية المخلوقات في عدم الاكتساء، وكذلك دعوتهم إلى التفكّر، والتعقل.

وبهذا الصدد نفسه نلاحظ بروز الدعوة الحضارية في القران الكريم في آية أخرى تذم الألفة الأبوية التي لا تؤسِّس وعيا تصاعديا، ولكن هذه المرة ليس في الملبوس من الثياب، ولكنها اعترضت

على المأكولات وتقديس ماهو غير مقدَّس على صعيد الطعام، والحجة في ذلك كذلك إنهم وجدوا آباءهم يفعلون هذا، وهذه القصة أول ما تطالعنا في سورة البقرة المباركة، ففي الآية السبعين بعد المائة من هذه السورة يقول تعالى:((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ))[٥١]، إنَّ التأسيس الحضاري للانسان يفرض طبيعة انتخابية في اختيار الأشياء، إذ إنه–أي: الانسان– كلما تطور ابتعد عن ما يضرّه على الصعيد البدني، والنفسي، وهنا تدعو الآيات اللاحقة على هذه الآية إلى انتخاب الطيب من الأكل، وعند هذه النقطة لن نجد معارضة من أي شخص نطلب منه اختيار الطيب من الأكل، وتجنب ما سواه لأن الشخصية المعيارية للبشر، بشكل عام، تَنْحَلُ كلَّ ما تعتادُهُ بفعل التواتر صفةَ الجودة، وبما ان الذوق تربية، فسنجد الذائقةَ الأولية تستعذب ما اعتادته وَتَسِمُهُ بالطيب، والجيد، ومن هنا ندرك سبب تفضيلنا أطعمتنا على حساب طعام الآخرين، بل أكثر من ذلك، سنعرف سبب تفضيل الكثير من الأبناء الذين يتزوجون حديثا طعامَ أمهاتهم على حساب طعام زوجاتهم، فهؤلاء الأزواج رُبِّيَت ذائقتُهم حتى يوم زواجهم على طعامٍ تُعِدُّهُ الأم وإنَّ التغيير الذي سيلاحظونه في طعام الزوجات لن يُساءل بصيغة نقدية علمية، بل سيخضع لدى الشخصيات المعيارية لحكم الذائقة التي تواترت عليها وصفة غذائية معينة، وهنا تخسر الزوجة في الغالب المنافسةَ أمام الأم ليس لشرط عدم جودة طعامها، ولكن بسبب طبيعة التقديس البشري للأشياء التي أخذت حيِّزا كبيرا من الزمن. وهنا عطفنا بك أيها القارئ الكريم على هذا المثل الحياتي حتى ننتبه إلى الخبيء من عللنا، لأننا بوصفنا بشرا نميل إلى الحكم على الآخرين، ولكننا نعشوا أحيانا عن ضوامر عِلَّتِنا، فما نعيبه في الآخرين ربما هو حاضر فينا من غير أن نستشعره لأننا استعذبناه، أو نحلناه بعضَ صفات العلو، والسمو، أما الخطاب القرآني فإنه يدعونا بالقول:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[٥٢] ، وهنا لن ندخل في التفصيل الفقهي، بل سنؤشر فقط إلى أن القرآن الكريم أراد أن يؤسس لذائقة سوية في الابتعاد عن الحِيَفِ، والسوائلِ التي تحطُّ من انسانية البشر، ولكنَّ النسق، والنسقيين من المشركين زمن الدعوة سيجدون في ذلك حظرا على معتادٍ ألفوه بل عَدُّوهُ من خصوصياتهم الغذائية التي وجدوا آباءهم متعاملين معها بكل أريحية من غير مساءلة نقدية، لذلك يضربون عن هذه الدعوة بقولهم كما بينا في آية الألفة السابقة: ((قَالُواْبَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا)) ودليل مانذهب إليه، الدلالة النحوية لهذه الآية فـ(بل): هو حرف إضراب وابتداء يشير إلى موقفهم من دعوة القرآن في اتباع ما أنزل الله، و(نتبع): فعل مضارع فاعله مستتر بتقدير نحن، والمضارعة هنا تحيل إلى موقفهم المستمر في ائتلافهم مع آبائهم في خطّ الغي، و (عليه) من الجار والمجرور، التي تنزاح لدلالة الحصر تؤسس بعدا هوياتيّا لهم، أي:أنها خصوصية ورثوها عن آبائهم، فتعدُّ بذلك جزءا من مكوناتهم الأنَويَّة التي يعتزون ويتمسكون بها، وجملة(قالوا...): لا محل لها جواب شرط غير جازم،

ومقول القول مقدّر، أي: قالوا لا نتّبع ما أنزل الله. فهم متجذِّرون سلوكيا مع خط آبائهم، ولذلك يستنكر القرآن هذا الموقفَ بالقول:((أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ)) فهمزة (أولو): للاستفهام الإنكاري والـ(لا): نافية، و (يعقلون): فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون في آخره لأنه من الأفعال الخمسة، والواو ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، و (شيئا): مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهي نكرة، و(يهتدون) معطوفة مثلها مثل يعقلون، وجملة ((كان آباؤهم...)): في محل نصب معطوفة على جملة حالية مقدرة، أي: وإنهم ليتبعون آباءهم في كل حال ولو كانوا لا يعقلون. إنَّ هذه الآية بهذا الاعراب تتخذ موقفا حاسما من المشركين وآبائهم، وتذم بشكل كبير هذا الائتلاف، إذ تستنكر موقفهم وتستعمل زمن المضارعة لدلالة الاستمرار في نفي(يعقلون) و (يهتدون) وتوظف النكرة (شيئا) لتشديد التقريع فاستعمال النكرة يفيد هنا من الناحية البلاغية تجرد هؤلاء الآباء من كل شيء في العقل، أو الهدى، فكأنهم عارون تماما عنهما، فيضع بهذا الآباء المذكورين موضع البهائم، فيقول في الآية التالية: ((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ))[٥٣]، ويشير الفرَّاء إلى أن القرآن شبَّه الكافرين هنا بالبهائم التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت، فأضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي ولم يقل كالغنم فأضاف التشبيه إلى الراعي والمعنى في المرعي[٥٤]. وعند هذا الأمر نكون بين النقطتين الدنيا التي وصل وصفها في القران حدّ البهيمية لعدم مراعاتها شروط التعقل في التفكير، والتحضر الانساني ، والعليا التي يمثلها القرآن الكريم هنا حين يعرض الأمرين، الطيب، والخبيث من الطعام كما يبين علَّة مُتَّبِعِي الخبيث بالإحالة إلى أمر جوهري، وهو عدم الموضوعية، من خلال مفردة الحب، التي تدفع النسقيين إلى عدم الرؤية الواضحة في التفكير المنطقي، فحبهم لآبائهم هو ما جعلهم يَعشُونَ عن رؤية الأمور المنطقية، فهي دعوة إلى الموضوعية، والابتعاد عن الأهواء الشخصية في الأحكام، يقول تعالى:((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[٥٥] ، وهنا تتضح القصة النسقية بأبرز خطوطها، وأكبر عللها، فالناس يحيدون عن خط الله، خط النقطة العليا، بجعلهم أحبابهم أندادا لله، الله يُشرِّعُ ويُعبِّدُ لنا سبلَ الحياة السوية، والطيبة، وهم مصرون على السير في خط من يحبون من الآباء الجهلة، إنها عين الحب التي تعمي وتصم، وكما قال الشافعي:

وَعَينُ الرِضا عَن كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٌ وَلَكِنَّ عَينَ السُخطِ تُبدي المَساوِيا [٥٦]

إنَّها العين التي يجب أن نخشاها، عين الابتعاد عن المنطق السوي في الأحكام بدافعية الهوى الذي يملأ أشرعة القلوب غير المحصَّنة، فيدفعها صوبَ قلاع السراب، التي هي محض أوهام، وافتراءات، ومن هنا نلتفت إلى استمرارية فاعلية الهوى في الكافرين بمجيء كلمة (يُحِبُّونَهُمْ) فعلا مضارعا، وفاعلا، ومفعولا به، وبكلمة واحدة متداخلة، ومتعالقة. بينما تشير الآيات اللاحقة إلى إطلاق الحلِّية في طعام الأرض الطيب، فلا حُرمةَ الَّا فيما استُثْنِيَ وتقدمَ الحديثُ فيه، وتُنبِه في الوقت نفسه إلى عدم الانجرار قطيعيًّا خلفَ خطوات الشيطان، الذي هو النقطة الدنيا، والخبث، والالتواء، فهو الآمر بالسوء، والفحشاء، أي بالمستقبحات من الأمور، قولا، أو فعلا، كما بيَّنا سابقا، في إشارة مهمة إلى أن يكون العلم هو المعيار، وليس الحب، والهوى في ((أَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ))[٥٧].

وهذا الأمر يتكرر في سورة أخرى، وهي سورة المائدة المباركة، إذ نرى فيها قول المشركين وهم مصرون في الإلفاء على خطى آبائهم، ولكن هذه المرة ليس في تحليل خبيث من المأكول، بل في تحريم غير محرَّم، وحجتهم في ذلك، الحجة ذاتها، وهي إنهم ناقلوا هذه العادة عن آبائهم، وإنهم لذلك ملتزمون بها، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ.... قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ... مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ))[٥٨] ، إننا هنا أمام نصّ يكشف النسق المتمركز للمشركين في تقديسهم، وتوجههم صوبَ أشياء تحولت إلى تقاليد راسخة في الذهنية العربية المشركة، ومنها تحريم بعض الحيوانات على بعضهم، أو كلِّهم، لأسباب عرفية، فتصبح تلك الحيوانات مقدَّسةً، ومحرَّمةً على الأكل، أو الشرب من حليبها، أو ركوبها، فيكشف لهم النص القرآني أن التقديس هنا قد جاء من المُقَدِّس الذي يَنحلُ القدسيةَ لأشياء بعيدة عن التقديس، وإنها دُجِّنَت لخدمة الانسان، ولو أردنا أن ننعم النظر بهذه الجزئية فعلينا أن نقرأ الآيات بهذا الترتيب: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ.... وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ... مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ))، إنَّ القصة النسقية التي يعالجها القران في هذا الموضع هي إنَّ المشركين كانت لديهم أصنافا من الحيوانات جعلوا لهنَّ أحكاما خاصة، ومنها (البحيرة): وهي الناقة التي

تُعلَّم بشق أذنها إذا نتجت عشرة أبطن، وقيل خمسة أبطن، آخرها ذكرا، فلا ينتفع منها بلبن، ولا ظَهْر، وتترك البحيرة ترعى وتردُ الماء، ويحرم لحمها على النساء، ويحلل للرجال، وقيل، إن البحيرة هي ابنة السائبة،[٥٩] و (السائبة): هي الناقة التي تُسيَّب أي تترك، فقد ((كان الرجل في الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد، أو بريء من علة، أو نجَّته دابة من مشقة أو حرب قال: ناقتي سائبة أي تُسيَّب فلا يُنتفع بظهرها، ولا تُحلَّأُ عن ماء، ولا تمنع من كلأ، ولا تركب؛ وقيل: بل كان يَنْزِعُ من ظهرها فقارة، أو عظما فتعرف بذلك؛ فأُغير على رجل من العرب، فلم يجد دابة يركبها، فَرَكِبَ سائبة، فقيل: أتركب حراما؟ فقال: يركب الحرام من لاحلال له، فذهبت مثلا))[٦٠] ، فهم يحرمونها وَيَشِمُونَ من يخرج عن عادتهم هذه بالعار، وأما (الحَامي): فهو الفحل من الأبل الذي يَصِلُ به الضراب إلى أن يلقح وَلَدَ وَلَده فقد حمى ظهره، فلا ينتفع منه بشيء، ولا يجز له وبر، ولا يمنع من مرعى[٦١]، و(الوصيلة): وهي صفة في الشاء خاصة إذ كانوا يجعلون إناثها لهم، وذكورها لآلهتم، فإن ولدت الشاة أنثى، وذكرا قالوا وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وكان لبنها، ولحمها حراما على النساء[٦٢]، إنها قصة القيود المجتمعية التي تتحول الى عادات متواترة تكتسب صفة التقديس من غير مراجعة علمية، فتصبح هذه الحيوانات في ذهنيتهم النسقية، ذات حمولات تبجيلية لحادثة أو فعل ما فينظر لها نِظرَةً خاصة دون سواها، وهذا الأمر إنْ كان هنا على مستوى الدواب، فإنه فاشٍ فينا على مستويات أخرى نعشوا عنها حين لا نُحاكِم متبنياتنا الذهنية بشكل علمي، والمشركون كانوا سائرين على هذه السبيل فيحرمون على أنفسهم، أو على نسائهم ما أحل الله، وهنا نلفت عناية القارئ الكريم إلى مستوى النظم الإعجازي في هذه السورة المباركة، إذ إنَّ الترابط الدلالي قائم فيها بشكل متكامل فنحن إذ نناقش هنا آية الائتلاف مع الآباء على مستوى المأكول من الطعام وهي الآيات بين السابعة والثامنين، والرابعة بعد المائة، نلاحظ الآية الأولى من هذه السورة المباركة قد ابتدأت بالأمر نفسه، إذ يقول تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ... أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ))[٦٣] كما إنَّ اسم السورة هو المائدة، وهنا تؤسسُ النقطةُ العليا القيمَ الحضارية للانسان في سلوك المنهج العلمي فيما يخص الطبيعة الغذائية في وجوب كونها طيبة بالمعنى العلمي، وليس بالمعنى الذوقي النسقي، وكونه (حَلالاً) بالنصب على الحالية، فانتخاب الانسان لمأكولاته بطريقة علمية يشير إلى تحضره، وابتعاده عن البهيمية، ثم إنَّ الأصل كما أشارت الآية الأولى في هذه السورة هو الإطلاق، وليس التقييد، فكونه حلالا، وطيبا، ليس قيدا، بقدر ما هو منهج، والقيد إنما يكون في الضارّ، والفاحش، والحرام، وهذا أمر تتفق عليه الانسانية اليوم بمختلف شرائعها وقوانينها فلا يوجد قانون يبيح الضارّ، إنما هو مقيد على الدوام، بالنفي، والمحاسبة ثم إنَّ آيات الألفة الأبوية في هذه السورة فكَّت قيدا وضعه الانسان على نفسه من غير ضرورة علمية لِتُشْهِر مبدأ الإطلاق في الأمور الطيبة، ولا تسمح باستعباد الذهنية بأمور متوارثة ليس لها أيّ قيمة معرفية، لذلك جاءت الآية بالإشارة إلى معدومية الآباء المُتَّبعين من العلم، والهدى ((أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ))، فهؤلاء الآباء خالون من العلم، أي جهلة، ما يجعل السير على خطاهم توجها

إلى مجهول، ووقوعا في ظلمة معرفية، فضلا عن كونهم، أي الآباء موضع النقاش، غير مهتدين، وهنا يحيلنا القران الكريم إلى لفتة علمية مهمة، فالجهل يكون بسب سياقات متعددة، ربما نلتمس في بعضها العذر للجاهل في كونه جاهلا، فقد يكون سبب جهله خارجا عن إرادته لأسباب بيئية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو غير ذلك، ولكن أن يقترن هذا الجهل بعدم طلب الإرشاد صوب الجهة السائر إليها، فهذا يعني الذهاب في ضلالة، لأن الذي يريد الوصول إلى جهة معينة على سبيل المثال، ولا يعرف الطريق إليها، فعليه من الناحية المنطقية السؤال لغرض الوصول، ولكي يكون على هدى من طريقه، أما إنه جاهل غير عالم، وعلى غير هدى، من غير مرشد يوجهه، فهذا هو الضلال بعينه، وهذا هو الجهل المركب الذي ذمَّه القران الكريم في هؤلاء الآباء المُتَّبَعِينَ من قبل ابنائهم المُقَدِّسِينَ لخطوات أولئك الآباء، فيستنكر القران لذلك هذا الموقف بالقول:((أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ))، ولكن النسقين لا يلتفتون إلى جهل أحبابهم، فهم غير موضوعيين، وهم يعملون كذلك على تبرير عدم موضوعيتهم بالإحالة إلى قدسي، متعالٍ على المساءلة، كي يصوِّروا أنفسهم بصورة المدرك العارف، ومن هنا ندرك إحالة المشركين سببَ أفعالهم في تحريم المُحلَّلات إلى الذات الإلهية في سورة النحل إذ يقول:((الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ))[٦٤]، إنها متوالية تبريرية نسقية يجب أن نلتفت إليها في تسبيب الكثير مما لا نعرف سببَ ممارستنا له، بالإحالة إلى الغيب كي نُخدِّرَ عقولنا مِنْ أن تؤنبنا في أيِّ ممارسة مجهولةِ الأسباب، فالمشركون هنا، معترفون بالله، الذاتِ المتعاليةِ الخالقةِ، ولكنَّهم يشفعونَ عبادتهم لَهُ بالأوثان، ومن هنا تأتي الجملةُ الشرطية (لَوْ شَاء اللَّهُ مَا عَبَدْنَا) بامتناع الجزاء، لامتناع الشرط، في إحالة تبريرية، في أن ممارستهم هذه هي ممارسة لا يرفضها الله، ولو أرادَ ألّا تُمارَس ما سِرْنا – والقول مقدر لهم – على نهج ممارستها نحن، وآباؤنا، في تخريجٍ يحيلُ إلى الجبرية في الأفعال، وسلبِ العقل قدرتَهُ في الاختيار، هذه حجة النسقيين مِن الأبناء، و (كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)، إنها جملة نسقية واحدة، وثابتة في الذوات التي يحركها النسق، لذلك يجب الحذر منها، وقراءتها نقديا، وبعيدا عن الهوى، والتعصب؛ لأنَّ الهوى يعصف بالانسان إلى ناصية اللَّا عقل، واللا منطق، فَمَنْ أَحبَّ وحَكَم، أو كره وحكم، مِن غير أَن ينتبه إلى فاعلية الحبِّ والكرهِ في تسيير حكمه، جانَبَ الصوابَ، وابتعدَ عن الحقيقة.

ومِن هذه النقطة تكون آخر وِقْفَةٍ لنا في بحث أثر الإلفاء الأبوي من الناحية السلبية في القران الكريم على المقتدين أثرَ آبائهم من غير تمحيصٍ، أو تحليلٍ علمي، وسنكون في رحاب سورة هود المباركة، حيث نجد إشارةَ الاحتذاء السلبي بالأب في حوار شعيب(ع) مع قومه وهو ينبههم إلى ضرورة الالتزام بقيمةٍ حضاريةٍ مهمة، وهي القيمة الاقتصادية التي كانوا يحتالون فيها، ويبخسون الآخرين حقوقَهم في المكيال، والميزان، فما كان ردُّهم إلّا أن ((قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن

نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ))[٦٥] ، إننا هنا أمام النقطتين ، العليا، وهي إشارتهم إلى أن هذه القيمة مأمور بها من الله (الصلاة الآمِرة)، والنقطة الدنيا، وهي جشعهم وإلفاؤهم الأبوي، لكنهم يبررون ذلك بالملكية، ملكية الأموال، ما يجعلهم يعتقدون بإطلاق التصرف فيها كيفما شاؤوا، ولو في الفاسد، والضارّ من الأمور، وملكية العقيدة، عقيدة الإشراك التي يتبنونها، فهي مملوك موروث من آبائهم ما يدفعهم، وهم المطففون من الناحية الاقتصادية إلى إعلاء شأنها، والتمسك بها، وهنا نعود إلى الرغبة، والهوى، وأثرهما في الابتعاد عن الموضوعية فنجد شعيبا (ع) ينبههم إلى هذا الأمر بقوله:((وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي))[٦٦] ، أي لا يدفعنكم بغضي، أو كرهكم لما أدعوكم إليه في عدم النظر بعين العقل، والحكم الصائب، إذ إنّه يؤسس دعوته لهم على أساس العلم، والمعرفة بينما يشيرون هم إلى عدم فهمهم، وجهلهم فهم سابرون في ظلمتهم، وهواهم، وعدم معرفتهم ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ...قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ))[٦٧] ، وهنا تظهر بشكل جلي الثنائية الضدية (البيِّنة): أي المعرفة الواضحة من جهة شعيب، و (ما نفقه): الجهل، وعدم الفهم من جهة أهل مدين، والسؤال هنا: ما الذي صَعُبَ على أهل مدين فَهمهُ في كلام أخيهم شعيب، ابن بيئتهم المحلية في اللغة والنسب؟

يشير المفسرون إلى أن شعيبا (ع) كان خطيب الأنبياء[٦٨] في إحالة إلى فصاحته، وبيانه، وقوة حجته، فعدم فهمهم له لم يكن بسبب تحدثه لغة غير لغتهم، أو أنه كان ذا أسلوب مبهم غير واضح، ولكنَّ السبب ينطلق من على قاعدة أنهم سائرون على أعراف متوارثة في السعي إلى التربح بالطرق السوية، وغير السوية، ويرون أي كسر لهذه الشرعة العرفية جهلا، أو تجهيلا في حرفتهم الاقتصادية، ومن هنا ندرك قولهم له حين يدعوهم للعدالة والإيفاء ((إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ))[٦٩] ، أي كيف تطلب منا ذلك وأنت صاحب العقل الراجح، وعند هذه النقطة لابد لنا أن نسأل عن سبب إقران شعيب (ع) الدعوةَ لله الواحد بضرورة الإيفاء بالكيل، والميزان، إذ يقول تعالى:((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ. وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ))[٧٠] ، إنه عليه السلام دعا إلى الله الواحد، مرة واحدة، ودعا إلى الوفاء بالكيل والميزان، مرتين، والعرب تقول: إن التكرير يفيد التقرير، إنّه يريد أن يُثبِّتَ قيمة مهتزة، وغيرَ قارَّةٍ عندَ هؤلاء القوم، وهي قيمة الأمانة في التعامل الاقتصادي، إننا هنا أمام رجل (نبي) يريد أن يُثبِّتَ إنجازَ القيمة، مقابل رجال (مشركين) يعملون على تشتيت القيمة، بالمعنى الاجتماعي، فالقيم من هذا المنظار هي التي تحدد درجة رقي المجتمعات وتحضرها من عدمه، والذي نبهنا له القران الكريم على مدار بحثنا هذا إنه في حالة شجب، وإنكار لكل ما يزيح القيم الحضارية، ويعمل على تشتيتها، فَرَفَضَ العُريَّ، والأكلَ الفاسد، والخبيث، ورفضَ كذلك تحريمَ الطيِّب من الأكل والشراب، والمُحَلَّلِ من غير علَّة منطقية، وهنا ينبهنا إلى قيمة حضارية مهمة

ابتعد عنها أهل مدين، وهي القيمة الاقتصادية المرعيَّة بالأمانة، والصدق في التعامل في إشارة إلى ان التعامل الأمين من الناحية الاقتصادية يعمل على تماسك المجتمع، ويشير إلى تحضره فوجود ((القيم داخل المجتمع يمثل ضرورة اجتماعية ... وبذلك تعمل القيم على التماسك الاجتماعي، واستمرارية المجتمع في الوجود، فهي ضرورية لبقائه ...- وفي إطار ذلك أيضا - يحافظ النسق الاجتماعي السائد على الأنماط القيمية ورموزها الثقافية التي تعتبر في بعض الأحيان بمثابة حوافز لسلوك الانسان أو أهدافا له في أحيان أخرى))[٧١] ، والقران الكريم حين يقرر هذه القيمة من خلال تكرارها ينطلق من أهمية القيمة في المجتمع الانساني، ولقد أشار (بارسونز)، وغيره من علماء الاجتماع، والانثروبولوجيا، إلى أن القيمة تتكون من ثلاثة عناصر وهي[٧٢] :

١- المكون العقلي: أي المعرفة، والاختيار، وقد رأينا الثنائية الضدية التي تمثَّلت في شعيب(ع) الداعي على بيِّنةٍ، وقومه الذين قالوا (ما نفقه) في إشارة إلى عدم حيازتهم هذا المكون مِن مُثلَّثِ القيمة.

٢- المكون الوجداني: أي البعد النفسي في التقدير، والرغبة، وقد عرضت علينا الآية القرآنية الكريمة كُرهَ قوم مدين لدعوة شعيب (ع) من خلال قول شعيب (ع):(لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي)، وقول قومه له: (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)، فهم غير مُحبين لشعيب(ع)، ولا دعوته لهذه القيمة.

٣- المكون السلوكي: وقوم مدين من الناحية السلوكية فاقدون لهذه القيمة، لذلك جاءهم النهي عن سرقة الناس على لسان نبيهم بالقول: (وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ).

إنَّ هذه المكونات متداخلة، ومتفاعلة فيما بينها، وهي تعكس طبيعة المجتمع، وأنساقه المهيمنة، ومن هنا ندرك سبب تركيز القران على هذه القيم الحضارية، والدعوة إلى ترسيخها، وتثبيتها لنقل المجتمع من ضفة المُغالَبةِ، والتوحش، والهمجية إلى ضفة التحضر، والتماسك البشري من خلال تنبيه الانسان إلى أهمية هذه القيم كي يستشعر اللذة عند ممارستها، ولا يفضل الربح السريع عن طريق الاحتيال، والسرقة المؤدية إلى تصدع المجتمع، على حساب ربحه مجتمعا رصينا، يُعِزُّهُ، وسلالتُهُ إن هو التزمَ القيمَ المتحضرة، لذلك نرى أن علم النفس يطرح القيمةَ بوصفها تفضيلاتٍ، ((وإن القيمة الإيجابية منها والسلبية تكمن في اللذة أو الألم الذي يشعر بهما الانسان، فإذا كان حدوث شيء لايؤثر مطلقا في إحداث اللذة أو الألم لدى فرد حاليا أو مستقبلا فإنه يكون عديم القيمة على الإطلاق،وعلى هذا فلا يكون خيرا أو شرا))[٧٣] ، ومن خلال هذا التوجه النفسي في ربط القيمة باللذة، والألم، وجعل القيمة بين السلب والإيجاب نلاحظ أن قوم مدين فضَّلوا القيمةَ السالبةَ، بالمعنى النفسي، أو تشتيت القيمة، بالمعنى الاجتماعي، لوجود لذةٍ عاجلةٍ في التربح غير الشرعي، وقدَّموها على لذة ستراتيجية تؤدي إلى تماسك المجتمع، وتشدُّ عُرُى علاقاته الانسانية، نتيجة لسطحية تفكيرهم، وقلة وعيهم، بينما كان نبيهم(ع) يُبيِّنُ لهم أن نعمة الرؤية الاستراتيجية لمآلات الأفعال رزق عظيم، أفضل من قصر نظرهم، واستعجالهم المكسبَ السريع، على حساب المكسب الدائم، والباقي ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ

إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ. وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ...وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ))[٧٤] ، إنه الخير والشر، أو العلم والجهل، أو التحضر والتخلف، أو الإيمان والكفر، أو الهدى والضلالة ،أو الله والشيطان، أو النبوة والنسق، إنها ثنائية ضدية واحدة، بمسميات متعددة، ولكنها، وعلى الرغم من تعدد مسمياتها لا تغادر طرفيها، ففي طرفٍ منها، الحضارة والسعادة والعلم ، وفي نقيضه، التخلف والحزن والجهل، وما على الانسان إلّا أن يختار، أو كما يقول رب العزة: ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً))[٧٥].

النتائج:

١- إنَّ التدين ليس عنصرا هامشيا في الشخصية المعيارية الانسانية، بل هو راكز في وجدانها، ومؤطِّر لسردياتها الكبرى، ضمن رؤاها الفلسفية في الكون والحياة.

٢- إنَّ أيَّ رؤية مجتمعية تحافظ على بقائها وديمومتها من خلال حرَّاس النسق، وهم النخبة المجتمعية ،أو المثقفون، أو الملأ بالتعبير القرآني، إذ يعمل هؤلاء على تسيير الأنساق على سكتها المتواترة، ويقفونَ جدارَ صدٍّ حصين ضدَّ أيِّ محاولةٍ مساسٍ بها.

٣- أكدت الآيات القرآنية التي عالجت نسق الألفة الأبوية على عدم اقتداء الآباء من غير إعمالٍ للعقل ومن غير هدى.

٤- إنَّ المعرفة المتراكمة، والمبنيَّة على أساس الذاكرة غير المخرومة هي أساس الوعي المنهجي الذي يطرحه القرآن الكريم سبيلا لعدم الانجرار وراء النسقي وغير العلمي.

٥- للماضي بريقٌ في الذاكرة البشرية، فهي، أي الذاكرة ليست حيادية، بل انتخابية، وبما انها كذلك، فهي تحتفظ بما يوافق ميولها ورغباتها، ويصبح لذلك هذا الماضي ذهبيا ولامعا، وهذا ما يدفع النسقيين دائما للاحتكام للماضي والتمسك به دون مناقشة أو جدل علمي.

٦- إنَّ الذوق تربية، وبما انه كذلك فقد حثَّنا القرآن الكريم على انتخاب الطيب بالمعنى المنهجي والعلمي وليس بالمعنى الموروث، فكل ما يعتاده الانسان يراه طيبا، ومن هنا يأتي اختلاف الأذواق، أمَّا العلم، فله معاييره الثابتة، في كون الجيد جيدا، لا اختلاف فيه، وكون الرديء رديئا، لا اختلاف فيه.

٧- إنَّ حضور القيم داخل المجتمع يعمل على تماسكه ويشير إلى تحضره لذلك ركَّز القرآن الكريم على ضرورة تثبيت القيم والعمل على إنجازها، كي تستقر الحياة ويتطور المجتمع.

الهوامش:

١- الغصن الذهبي ، جيمس فريزر ، تر: احمد ابو زيد، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠: ٢٨ .

٢- نظرية الثقافة، ميشيل تومبسون واخرون، تر: علي سيد الصاوي، الكويت ،سلسلة عالم المعرفة،ع ٢٢٣ ،١٩٩٧: ٢٢٩.

٣- ينظر: موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية: شارلوت سيمور.سميث، تر:مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، اشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط٢ ، ٢٠٠٩: مادة(دوركايم): ٣٦٩، ومادة (شعيرة):٤٥٤.

٤- الولي والمقدس ، شحاتة صيام ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة،ط١، ٢٠١٠: ١٥.

٥- ينظر: العرب والبرابرة : المسلمون والحضارات الأخرى، عزيز العظمة، دار رياض الريس، لندن، ١٩٩١ : ١١٨ .

٦- ينظر: تمثيلات الاخر- صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د.نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٤: ١١٠.

٧- ينظر : كتاب التاريخ، عبدالملك بن حبيب، تح: خورخي أغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،مدريد،١٩٩١: ٢٦.

٨- تمثيلات الاخر: ١١١.

٩- الاسلام من منظور علم الاناسة ، غيرتس كليفورد، تر: أبو بكر باقادر، دار النتخب العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٩٣: ١٢٤.

١٠- ينظر: نزار الطائي ، الاتجاه نحو الدين ، جامعة الكويت : حوليات كلية الاداب ، ع: ١٢:١٩٩٢.

١١- ينظر: المقدس والقبيلة: الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري- زيارة الرقاني نموذجا-، ثياقة الصديق، اشراف:ا.د. حجيج الجنيد، اطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية - قسم علم الاجتماع - ، ٢٠١٣-٢٠١٤ : ١٥١-١٥٥ .

١٢- المقدس والمجتمع،الزاهي نور الدين، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١١ :٣٢.

١٣- ينظر: المقدس والقبيلة : ١٩٢-١٩٣ .

١٤- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري(٢٥٦هـ)،دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٢م : ١٣٨٥.

١٥- البقرة: ١٧٠.

١٦- ينظر:دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط٣ ٢٠٠٢ :٦٢.

١٧- ينظر: دليل الناقد الادبي :٣٤٦-٣٤٧.

١٨- ينظر : دليل الناقد الادبي : ٣٤٧.

١٩- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب،ط٣، ٢٠١١ : صفحة الغلاف

٢٠- ينظر: مشكلة البنية، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة :٢٩. وينظر:العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د.عبدالوهاب المسيري، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢ :٢/٤٥١-٤٥٢. وينظر:اللسانيات الأنثروبولوجية: منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية ، د. جواد كاظم التميمي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الاردن ،ط١، ٢٠١٩ : ٣٢-٣٣.

٢١- هيجل او المثالية المطلقة ، زكريا ابراهيم،مصر- القاهرة : ١٨٦.

٢٢- ينظر: اللسانيات الانثروبولوجية:٣٤.

٢٣- ينظر: النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء- المغرب، ط٥ ، ٢٠١٢: ٧٦-٨٥ .

٢٤- تمثيلات الاخر: ٩٧.

٢٥- ينظر: النقد الثقافي: : ٧٤.

٢٦- والآيات المدنية في هذه السورة من الاية ١٦٣-١٧١.ينظر: تفسير القرطبي ، أبو عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(م ٦٧١هـ)، تحقيق:أحمد البردوني وأبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤: ٧/١٦٠ .

٢٧- الأعراف: ٢.

٢٨- الاعراف ٧

٢٩- الأعراف: ٢٨.

٣٠- وهم القرشيون لتشددهم في دينهم.

٣١- النسعة : قطعة من الجلد مضفورة عريضة تجعل على صدر البعير.

٣٢- ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القران، أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري(٣١٠ هـ)، تحقيق: د.عبدالله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م :١٠/ ٢١٨ .

٣٣- ينظر: لسان العرب ، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر، بيروت- لبنان، ط٧، ٢٠١١ : (مادة فحش) ١١-١٢/١٣٤.

٣٤- الأعراف: ٢٨.

٣٥- الأعراف : ١٢.

٣٦- الأعراف : ١٦.

٣٧- لسان العرب : (مادة شطط) :٨/٧: ٨١.

٣٨- ينظر : لسان العرب : (مادة شطن) :٨/٧: ٨١.

٣٩- الأعراف: ١٩-٢٢.

٤٠- الاعراف: ٢٣.

٤١- الأعراف: ٢٦.

٤٢- لسان العرب: مادة (وقي) ١٦/١٥: ٢٦٦.

٤٣- الأعراف ٧٢.

٤٤- الأعراف٦٥-٦٦.

٤٥- الأعراف ٧٠.

٤٦- ينظر: اللسانيات الأنثروبولوجية: ١٣٦ ومابعدها.

٤٧- نسبة لـ (عاد) .

٤٨- الأعراف : ٧٢.

٤٩- الأعراف : ٧١ .

٥٠- ينظر: تفسير الطبري: ١٠ / ٢٨٠ .

٥١- البقرة: ١٧٠.

٥٢- البقرة : ١٧٢-١٧٣.

٥٣- البقرة : ١٧١.

٥٤- ينظر: لسان العرب: مادة (نعق) ٣٠١.

٥٥- البقرة : ١٦٥-١٦٩.

٥٦- ينظر: ديوان الامام الشافعي، الامام ابو عبدالله محمدبن إدريس الشافعي(٢٠٤ هـ)، جمعه وشرحه: نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان : ٩١ في روي الياء، لكن صاحب الأغاني ينسبه لعبدالله بن معاوية، ينظر: الأغاني لأبي فرج الأصفهاني،دار الفكر: ١٢/ ٢٧٢.

٥٧- البقرة: ١٦٩.

٥٨- المائدة :٨٧ -١٠٤ .

٥٩- ينظر لسان العرب : مادة (بحر) ١-٢/٢٤-٢٥ .

٦٠- لسان العرب: مادة (سيب) ٧-٨ / ٣١٥.

٦١- ينظر: لسان العرب: مادة (حما) ٣-٤ / ٢٤١ .

٦٢- ينظر: لسان العرب: مادة(وصل) ١٥-١٦ / ٢٢٥-٢٢٦ .

٦٣- المائدة : ١.

٦٤- النحل: ٣٥.

٦٥- هود: ٨٧.

٦٦- هود: ٨٩. ٩١.

٦٧- هود: ٨٨-

٦٨- ينظر: تفسير الطبري: ٣٢٢/١٢.

٦٩- هود:٨٧.

٧٠- هود: ٨٤-٨٥.

٧١- الديمجرافيا الاجتماعية ، اسماعيل حسن عبد الباري ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة- مصر ، ٢٠٠٠ : ١٣٦ .

٧٢- الميسر في سيكولوجية اللعب ، أحمد بلقيس ، وتوفيق مرعي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان ، ١٩٨٢ : ٨٢.
٧٣- الإنسان والمجتمع ، مقدمة في علم النفس الاجتماعي ، محمد شفيق ، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية – مصر،٢٠٠٣: ٦١.
٧٤- هود : ٨٤- ٩٤.
٧٥- الانسان: ٣.

المصادر:

- القرآن الكريم
- الاتجاه نحو الدين، نزار الطائي، جامعة الكويت: حوليات كلية الاداب، العدد ١٢، ١٩٩٢.
- الاسلام من منظور علم الاناسة، غيرتس كليفورد، تر: أبو بكر باقادر، دار النخب العربي، بيروت ، ط١، ١٩٩٣.
- الإنسان والمجتمع ، مقدمة في علم النفس الاجتماعي، محمد شفيق ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية – مصر،٢٠٠٣.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القران، أبو جعفرمحمد بن جرير الطبري(٣١٠ هـ)، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
- تفسير القرطبي، أبو عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت ٦٧١هـ)، تحقيق:أحمد البردوني وأبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤.
- تمثيلات الاخر:صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د.نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ٢٠٠٤
- دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٣ ٢٠٠٢.
- الديمجرافيا الاجتماعية، اسماعيل حسن عبد الباري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة– مصر ، ٢٠٠٠ .
- ديوان الامام الشافعي، الامام ابو عبدالله محمدبن إدريس الشافعي(٢٠٤ هـ)، جمعه وشرحه: نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان .
- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري(٢٥٦هـ)،دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٢م .
- العرب والبرابرة: المسلمون والحضارات الأخرى، عزيز العظمة، دار رياض الريس، لندن، ١٩٩١.
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، د.عبدالوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.
- الغصن الذهبي ، جيمس فريزر ، تر: احمد ابو زيد، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ .

- القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب،ط٣، ٢٠١١ .
- كتاب التاريخ، عبدالملك بن حبيب، تح: خورخي أغوادي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،مدريد،١٩٩١.
- لسان العرب ، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر، بيروت– لبنان، ط٧، ٢٠١١ .
- اللسانيات الأنثروبولوجية: منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية ، د. جواد كاظم التميمي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان– الاردن ،ط١، ٢٠١٩.
- مشكلة البنية، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة.
- المقدس والقبيلة: الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري– زيارة الرقاني نموذجا–، ثياقة الصديق، اشراف: أ.د. حجيج الجنيد، اطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية – قسم علم الاجتماع – ٢٠١٣–٢٠١٤ .
- المقدس والمجتمع،الزاهي نور الدين، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١١.
- موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية: شارلوت سيمور.سميث، تر:مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، اشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة،ط٢ ، ٢٠٠٩.
- الميسر في سيكولوجية اللعب ، أحمد بلقيس ، وتوفيق مرعي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٢.
- نظرية الثقافة، ميشيل تومبسون واخرون، تر: علي سيد الصاوي، الكويت ،سلسلة عالم المعرفة،ع ٢٢٣، ١٩٩٧.
- النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبدالله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٥ ، ٢٠١٢ .
- هيجل او المثالية المطلقة ، زكريا ابراهيم،مصر– القاهرة.
- الولي والمقدس، شحاتة صيام ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة،ط١، ٢٠١٠.